الباب الثاني :

المصادر التاريخية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر

المحاضرة السادسة : عموميات حول المؤرخين الفرنسيين

المحاضرة السابعة : الكتابات التاريخية الفرنسية

المحاضرة الثامنة : الكتابات التاريخية المحلية

المحاضرة التاسعة : الكتابات التاريخية المحلية "خلال عصر النهضة(ق19 وبداية ق20)"

المحاضرة العاشرة : الكتابات التاريخية المحلية" كتابات الحركة الوطنية"

المحاضرة الحادية عشر: الأرشيف

المحاضرة الثانية عشر: الصحافة

المحاضرة الثالثة عشر: نماذج من الصحافة

المحاضرة الرابعة عشر: مصادر تاريخ الجزائر أثناء الثورة"الإعلام الثوري"

المحاضرة السادسة :
عموميات حول المؤرخين الفرنسيين

I. المؤرخون الفرنسيون وتاريخ الجزائر

II. دوافع بحث الفرنسيين في تاريخ الجزائر

I. المؤرخون الفرنسيون وتاريخ الجزائر

رغم جهل الفرنسيين في أول الأمر بواقع الجزائر وتاريخها، ورغم انشغالهم بعمليات الحملة والاحتلال وافتقارهم في البداية إلى الذوق الثقافي، فإنهم اتجهوا في نفس الوقت في البحث في ثلاثة مجالات وهي :

- نشر الآثار القديمة عن الجزائر

- إنشاء اللجان العلمية ومنح الرخص للأفراد للقيام بعمليات البحث والجمع والتعريف بالآثار التاريخية في البلاد.

- تكوين جمعيات المختصة، والصحف والدوريات التي تحفظ المكتشفات التاريخية وتعتني وتعرف بها المهتمين.

ففي المجال الأول "نشر الآثار القديمة"، فنشروا منذ عام 1830 كتب الرحلات والانطباعات التي كتبها الأوروبيون عن الجزائر خلال العهد العثماني، مثل شيلروشو،بانانتيو، روندو،هايدو، فانتورديبارادي، كما نشروا غزوات "عروج وخير الدين" مترجمة عن النسخة العربية، واهتموا (بالزهرة النيرة) والوثائق العربية لحملة شارل الخامس على الجزائر، وعادوا إلى كتب المؤرخين والرحالة العرب وشرعوا أيضا في نشرها، جزئيا أو كليا ك"ابن خلدون،البكري والعياشي وحسن الوزان (ليون الأفريقي)" وغيرهم.

ومن جهة أخرى نشرا مراسلات دايات الجزائر مع حكام فرنسا، ومذكرات وتقارير القناصل والجواسيس الفرنسيين أمثال "دوبوا، تانفيل،بوتان ،كيرسي"الذين كانوا جواسيسا لفرنسا بالجزائر.

اهتموا بأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا وبتقارير الشركات الفرنسية التي توالت على ما كان يسمى بـ"حصن فرنسا"، بالإضافة إلى ذلك أبدوا عناية بالوثائق العثمانية التي وجدوها في الجزائر والتي ضاع كثير منها ساعة الفوضى التي سادت دخولهم الجزائر.

وبخصوص المجال الثاني الذي هو إنشاء اللجان العلمية، نجد أن اللجنة الافريقية التي زارت الجزائر سنة 1833 بقصد التحقق في مصير الجزائر، تنهي أعمالها بتقارير ومحاضرات غنية عن الجزائر في مختلف المجالات ولا سيما الاقتصادية والاجتماعية، وفي سنة 1837 أنشأت وزارة الحربية لجنة باسم "اكتشاف الجزائر العلمي"، التي قامت بنشر دراسات هامة في عدة أجزاء عن الآثار والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة والتاريخ وعلم

السلالات، وكذلك قام العديد من الأفراد بالبحث ونشر أعمالهم في التاريخ المحلي، عن اللهجات والطرق والنظم ، طبائع السكان، الزاويا، الحياة القبلية والمدن .. وقد ظهرت من ذلك مجموعة من الدراسات والانطباعات التي كتبها عسكريون فرنسيون.

أما المجال الثالث المتعلق بالجمعيات والصحف فقد ظهر هو الآخر منذ بداية الاحتلال أي يوم 26 جوان1830، ففي سيدي فرج ولدت الصحافة الفرنسية بالجزائر، ان لم تكن صحافة بالمعنى الدقيق للكلمة، لأن أول جريدة حقيقية أسسها الفرنسيون في الجزائر كانت"المرشد الجزائري"اهتمت بالإضافة إلى القرارات والإعلانات الرسمية، بالتاريخ المحلي وأخبار المسلمين وحركات الأهالي وكان على رأسها "بيربروجر" الذي لعب دور في إدخال كثير من عوامل الحضارة الأوروبية إلى الجزائر.

وفي سنة 1839 صدرت"جريدة الأخبار"، التي اهتمت هي الأخرى بالأبحاث التاريخية إلى جانب كونها جريدة سياسية إخبارية، واهتمت أيضا "جريدة المبشر" التي ظهرت سنة 1847 بالأخبار المحلية وان كانت قليلة ولاسيما في عهدها الأول من الاحتلال الفرنسي للجزائر،غير أن تأسيس "جمعية قسنطينة للآثار"سنة 1852 أدى إلى ظهور الدوريات المتخصصة في الدراسات التاريخية والأثرية.

إلى جانب هذه الدوريات والجمعيات ظهرت "مكتبة ومتحف الجزائر"، وقد شهدت سنة 1835 ظهور أول نواة لمكتبة مدينة الجزائر التي بدأت في العمل خلال سنة 1838. وبوحي من "بريسون" المتصرف المدني أضيف إلى المكتبة متحف أثري وأصبحت المكتبة والمتحف منطلقا للباحثين في تاريخ الجزائر،يجدون فيهما المخطوطات العربية والمطبوعات والآثار التي هي عدّة المؤرخ.

والملاحظ أن أول مقر للمكتبة والمتحف هو"دار الحاج عمر"صهر الداي حسين باشا وكانت هذه الدارعلى الطراز الأندلسي الجزائري الجميل، وكانت تتكون من طابقين:

- الطابق الثاني للمكتبة: وكان يضم أربعة قاعات ثلاث منها للكتب والرابعة للمطالعة. والقاعة الأخيرة مقسم إلى جناحين :

*واحد للمطالعين الأوروبين

*الثاني للمطالعين الجزائريين.

– الجناح الأول كان يحتوي على الكتب المتعلقة بالجزائر والتي كانت مطلوبة أكثر من غيرها.

أما المتحف فكان في الطابق الأول من الدار وكان يضم أيضا أربعة قاعات، خصصت ثلاث منها لعرض وحفظ التحف والأشياء الثمينة والخطوط والآلات والآثار والأسلحة والحيوانات....أما القاعة الرابعة منه فقد خصصت لدرس اللغة العربية الذي كان يقوم به"برينسي".

بالإضافة إلى مكتبة متحف مدينة الجزائر توسعت المكتبات العسكرية التي كانت تتبع الحاميات في المدن التي وقع احتلالها، كما تكونت متاحف أخرى مثل متحف شرشال الذي تكون في الشهور الأولى للاحتلال والذي تخصص تقريبا في حفظ الآثار الرومانية التي أولاها الفرنسيون اهتماما خاصا.

I. دوافع بحث الفرنسيين في تاريخ الجزائر

انطلق الفرنسيون في كتاباتهم تاريخ الجزائر من عدة معطيات أهمها:

–كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة.

–كونهم شعبا متحضرا حكموا شعبا متخلفا

–كونهم مسيحيين قبضوا على زمام شعب مسلم.

هذه المعطيات متفرقة ومجتمعة هي التي قررت نوعا من الحتمية التاريخية عندهم، وهي التي حددت منهجهم الذي تطور مع الزمن كلما ازدادوا صلة بالجزائريين, ولعل تلك المعطيات هي التي مازالت تتحكم في الكتابات الفرنسية عن الجزائر حتى اليوم، وكانت هناك دوافع كثيرة دفعت الفرنسيين إلى الاهتمام بالتاريخ الجزائري:

أولا: الرغبة في التعرف على الشعب وقع في قبضة الحضارة الأوروبية:

وكانت هذه الحضارة تحمل معها إلى الجزائر كل الأدوات العز الفكري، فقد جاءت بالمطبعة والصحيفة، والمستشرفين الذين يدعون معرفة الإسلام وتاريخه، وبالتراجمة الذين تخرجوا من مدارس اللغات الشرقية الأوروبية أو من الذين جاءوا من الشام ومصر بعد أن ارتبطوا بالحضارة الأوروبية عقب حملة نابليون.

ثانيا : دافع السيطرة والاحتلال:

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجمع الآثار المكتوبة وغير المكتوبة وتمحيصها وتقييمها واستخلاص النتائج منها. من أجل ذلك استغل الفرنسيون أيضا ما كتبه الكتاب الجزائريين ونذكر على سبيل المثال ما كتبه "العنتري،ابن المبارك" عن تاريخ قسنطينة بوحي من "بواسوني"، وما كتبه "محمد بن علي التلمساني"عن علماء وهران وتلمسان بوحي عامل وهران الفرنسي، وما ترجمه ونشره "ابن أبي شنب، الحفناوي" وغيرهما بتحريض من الحاكم العام "جونار" وجملة من الباحثين الفرنسيين.

ثالثا : الدافع الديني

فقد احتلت الجزائر بعد صراع شديد بينهما وبين أوروبا المسيحية دام ثلاثة قرون، والأوروبيون يطلقون على ذلك عهد القرصنة، وهو في الواقع كان الفصل الثاني من عهد الحروب الصليبية، ولذلك اهتموا بتاريخ الجزائر أولا لمعرفة أسرار العهد المشار إليه، وثانيا لتحطيم المعنويات التي قد تحدث تغييرات جذرية بعد نجاح الاحتلال. كما اهتموا بالدراسات الاسلامية والطرق الصوفية ورجال الدين ذوي النفوذ الروحي، تمشيا مع هذا الاتجاه، كما شاركت الكنيسة، بواسطة رجال التبشير ووسائلها المعنوية والمادية في تبني هذا الاتجاه.

في عهد المؤرخين العسكريين الممتد بين عام 1830-1880، وهو العهد الذي أطلق عليه المؤرخ ستيفان غزال اسم المدرسة الجزائرية القديمة في كتابة التاريخ، لأن الذين تولوا كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي ،السياسي والإداري خلال هذا العهد، هم كتاب عسكريون بالمهنة أو تراجمة عسكريون وقد ظلت الإدارة الفرنسية في الجزائر عسكرية من 1830 إلى 1871

باستثناء سنتي 1858-1860، وإن هناك مناطق من الجزائر ظلت عسكرية إلى قيام الثورة التحريرية.

إن الإدارة الفرنسية قد اعتمدت في تسيير الشؤون الأهلية على ضباط كانوا يتكونون تكوينا خاصا تسند اليهم وظيفة محلية محددة كان يطلق عليها اسم المكتب العربي، وشيئا فشيئا أصبحت المكاتب العربية هي حكومة محلية تسيير شؤون الجزائريين، وقد اختلفت إدارة شؤون الأوروبيين من عهد إلى عهد ولكن بالنسبة للجزائريين ظلت تعتمد على المكاتب العربية حتى 1871، وعندما تحولت الإدارة العليا إلى إدارة مدنية في عهد الجمهورية الثالثة أصبح الجزائريون خاضعين لإجراءات لا تختلف عن مزيج الإدارة العسكرية البوليسية.

خلال العشر سنوات الأولى من الاحتلال،ظهر كتاب عسكريون أمثال"كاريت، بيليسيوهانوتو،ديلامار"وغيرهم. وقد شارك هؤلاء في اللجنة العلمية التي أنشأت خلال عام 1837، والتي كونتها وزارة الحربية لاكتشاف الجزائر ومعرفة أحوال أهلها السابقين، وهكذا كتب "كاريت"عن القبائل الجزائرية وعن العلاقات الاقتصادية بينها، وكتب "بيليسي دي رينو"كتابه أخبار الجزائر الذي أرخ فيه للثماني عشرة سنة الأولى من الاحتلال، كما كتب "هانوتو"عن لهجات ونظم الجزائريين، وجمع "دي سلان" الذي ترجم تاريخ "ابن خلدون" وجغرافية"البكري" وغيرهما، واختص الضابط "بروسلر" بالخط العربي، وقام "فورنيل" بكتابة تاريخ شمال افريقيا في العصور الوسطى، أما "لاكروا" فقد نشر دراسات عن الاستعمار والإدارة الرومانية في افريقيا، ومن كتاب هذا العهد كان أيضا "بيربوجر" الذي ملأ المجلة الافريقية في مقالاته عن أخبار عن الجزائر سواء التي جمعها مباشرة أو التي ترجمها عن كتاب مسلمين مثلما فعل مع "رحلة العياشي".

وإذا كان هؤلاء قد التفوا حول اللجنة العلمية فإن هناك جماعة من الباحثين العسكريين، قد التفوا حول مشروع اللوحة الذي يتحدث عن وضع المنشئات الفرنسية في الجزائر،وقد ظهر من هذا المشروع الضخم سبعة عشر مجلد بين سنوات 1843-1964، يحتوي على

دراسات احصائية والغوص في حياة السكان، ورغم قدم العهد فإن هذه المجلدات ما تزال مرجعا للباحثين.

ومن كتاب هذا العهد "شارل فيرو،الاسكندربينمار،وارنو،ويلسوناسيترهازي، روبان، واترملي ،لويس رين" وغيرهم،

وبالإضافة إلى "مشروع اللوحة" تجمع هؤلاء حول "جمعية قسنطينة للآثار" و"الجمعية التاريخية الجزائرية" ومجلتيهما، وقد أمدوا هذه المنشآت بالدراسات والمذكرات عن القبائل وزعمائها والطرق والآثار والتواريخ المحلية، واللهجات والنظم والشخصيات السياسية التي لعبت دورا في تاريخ الجزائر كـ "الأمير عبد القادر،الحاججمد،بومعزة، بوبغلة" والحوادث الهامة كالمعارك والثورات، ودور بعض العائلات والطرق الصوفية، ولا نكاد نجد تاريخا لحروب الأمير عبد القادر، ونزاع "الحاج حمد" مع خصومه في الزيبان وحوادث جرجرة، وثورات أولاد سيدي الشيخ وثورة 1871 ونحوها إلا بالعودة إلى كتابات "بيلامار، زيروكا، وروبان، رين، ترومليي، دوماس، دونوفو".

ولقد اعتمد هؤلاء في كتاباتهم على المصادر الأهلية في غالب الأحيان، وهذه المصادر على نوعين مكتوبة وشفوية

- **ومن المصادر المكتوبة:** وثائق العائلات الكبيرة، وعقود الملكية، ومذكرات رجال العلم الجزائريين.

- **أما المصادر الشفوية:** التي اعتمدوا عليها أكثر من الأولى فقد جعلتهم يسجلون قصصا وأحداثا من مختلف المشارب والأنواع

وقد ساعدت الإدارة هؤلاء الباحثين بجمع ما تفرق من الوثائق العربية والتركية التي وجدها الفرنسيون ساعة دخولهم الجزائر،ففي هذه الوثائق معاهدات، ودفاتر حساب، وسجلات عسكرية وعقود وأوراق إدارية، فقد أنشأت (إدارة الدومين) ووضعت تلك الوثائق في قسمها العربي الذي أسندت إدارته إلى "ديفو" الذي ظل 25 سنة كمحافظ للأرشيف العربي، ونشر خلال ذلك وثائق هامة عن تاريخ الجزائر الديني، والعسكري، والبحري، ورغم

أن أعمال هؤلاء الباحثين العسكريين تعتمد الجمع، ولا سيما من المصادر الشفوية والمشاهدات الشخصية، فإنها قد تركت للمؤرخين اللاحقين أرضية يبدؤون منها ومنافذ يطلون منها على أحوال الجزائريين الذيم لم يكونوا يعرفون عنهم إلا القليل.

كما تميز عهد المؤرخين والاختصاصيين الممتدين من عام 1880 إلى1954،بتأسيس جامعة الجزائر، ومن هنا بدأ عهد جديد في كتابة تاريخ الجزائر عند الفرنسيين، حيث صدر في سنة 1880 قانون إنشاء المدارس العليا في الجزائروالتي أصبحت سنة 1909 تعرف باسم جامعة الجزائر، وكانت المدارس العليا تم مدرسة الآداب،مدرسة الطب،مدرسة الحقوق ومدرسة العلوم، إلا أن ميلاد المدارس العليا تصادف مع موجة الاستعمار العنيفة التي بلغت دورتها بمناسبة الاحتفال بمرور مائة سنة على الاحتلال الفرنسي للجزائر، مما جعل كتاب الدراسات التاريخية الذين ظهروا خلال هذا العهد، يتحولون إلى أتباع الاستعمار، وهو ما يكشف مدى ذاتية المؤرخ عندما يرتبط بمصلحة وطنه ويضحي في سبيل ذلك بقيم البحث وأخلاق العلم، ذلك أن كتابات هذا العهد كانت تعمل على تبرير الاستعمار والتأريخ له، وتعمل كذلك على إنجاحه و استمراره.

وقد تصادف ميلاد جامعة الجزائر أيضا مع احتلال فرنسا لتونس، واهتمامها بقضية المغرب الأقصى، وبذلك اتسعت رقعة البحث لدى مؤرخي هذا العهد، فأصبحوا يتناولون في كثير من الأحيان تاريخ شمال إفريقيا بصفة عامة ويربطون بين مصالح فرنسا في الأقطار الثلاثة، ويضاف إلى ذلك منطقة الصحراء التي دخلت اهتمامات الأبحاث الفرنسية خلال هذا العهد أيضا، حيث نجد بعض التراجمة والباحثين الذين تدربوا في الجزائر قد أصبحوا عاملين في تونس والمغرب.

و في هذا الشأن تكونت سنة 1935 اتحادية"الجمعيات العلمية لشمال افريقيا"التي أصبحت تجتمع كل سنة في إحدى مدن المغرب العربي لتنسيق جهودها وتتذاكر في خططها وتتبادل الخبرات والمعلومات وتلقى خلال ذلك الأبحاث والدراسات.

خلال هذا العهد ولد أيضا خلال عام 1933 "معهد الدراسات الشرقية بالجزائر"، الذي أخذ على عاتقه الاهتمام خاصة بالحياة العربية الإسلامية الماضية للجزائر، الذي تولى رئاسته "جورج مارسي" ثم "هنري بيريس" المعروف بتعصبه ضد الجزائريين، كما ولد خلال سنة 1940 معهد "الأبحاث الصحراوية".

وعندما فتحت مدرسة الآداب العليا التي تحولت فيما بعد إل كلية الآداب مجال التدريس والبحث في تاريخ المغرب العربي وإفريقيا، ولما كانت الأبحاث تهدف إلى خدمة الإدارة الاستعمارية سواء في الجزائر أو في غيرها من أجزاء إفريقيا، قدمت تسهيلات وتشجيعات مادية ومعنوية للأساتذة سواء أثناء تواجدهم على كرسي التدريس أو أثناء تنقلاتهم بحثا عن المعارف والمصادر، وتذكر المصادر أن هؤلاء الأساتذة قد تنقلوا كثيرا وركبوا في سبيل هدفهم الأحصنة والبغال وحتى الجمال، ومن الأساتذة الجامعيين الذين برزوا خلال هذا العهد "ماسكري"، الذي لم يختص بموضوع بعينه و"ريني باسي" الذي اختص بالدراسات اللغوية واللهجات المحلية و"دوتي" الذي كرس جهوده للأبحاث الاجتماعية، و"جورج إيفير" الذي اهتم بـ"تاريخ الاحتلال"، و"ستيفان غزان" الذي تخصص في تاريخ شمال افريقيا القديم، و"مارسيل إيمريت" الذي اهتم بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية للأهالي خلال العهد الفرنسي، و"ياكونو" الذي تناول قضايا الاستعمار والمكاتب العربية، ويضاف إلى هؤلاء عدد من المهتمين بتاريخ شمال افريقيا في فرنسا نفسها أمثال "شارل أندري جوليان "(تاريخ شمال إفريقيا) ومانصو (التاريخ الأدبي لأفريقيا المسيحية)، وكانيا (الجيش الروماني الأفريقي)، وديل (أفريقية البيزنطية).

خلال هذا العهد أنشأت عدة مصالح ساعدت هؤلاء المؤرخين الاختصاصيين، على أداء مهنهم،ففي سنة 1880 تأسست مصلحة الآثار التاريخية بالجزائر وهي التي قامت ببعث مدينتي جميلة وتيمقاد الرومانيتين، وفي باريس تأسست سنة 1883"لجنة أفريقيا الشمالية" التي كانت مهمتها بعث الوثائق والخطوط والنقوش الأثرية، وفي عهد "جونار" تأسست سنة 1910"لجنة بالجزائر وعلاقات الأهالي معهم"، وضمن هذا المشروع صدرت

مراسلات كولزيلور و "فيقو وفوار و لوديرلون وآثار بوتان، كما صدر كتاب "الجزائر في عهد الأمير عبد القادر"، وفي عهد "جونار" أيضا أعطيت الإشارة لتشجيع الدراسات الاسلامية فقام "محمد بن أبي شنب" بنشر "رحلتي ابن عمار الورتلاني"، وتحقيق كتب قديمة كعنوان "الدراية للغربيني" و"البستان لابن مريم" و"بغية الرواد ليحي بن خلدون"، وقام "الحفناوي" بوضع قاموس ترجمة "تعريف الخلف برجال السلف" وتولى "لوسياني"(الذي كان مسؤول الشؤون الأهلية في نفس الفترة) تولى التعريف بآثار رجال الدين المسلمين كـ"السنوسي وعبد الرحمان ألأخضري"...

وعندما حان الاحتفال بمرور مائة سنة على الاحتلال،تجند هؤلاء المؤرخين في اللجان التي كونتها الحكومة العامة عندئذ، لوضع دراسات تركيبية عن تاريخ الاستعمار في الجزائر وعن جهود فرنسا الحضارية فيها، ومع نظرة نقدية شاملة لما تحقق في ميدان الكتابة التاريخية حنى ذلك العهد، وقد خرجت من هذا الجهد مجموعة من الأبحاث أصبحت تعرف بـ"مجموعة المائة سنة" وهي تشمل ميادين التاريخ،الآثار الجغرافية، الفنون، وغيرها، وهذا اللقاء بين المؤرخين الفرنسيين في جامعة الجزائر وبين الحكومة العامة يبرهن من جديد على مدى تواطؤ هؤلاء المؤرخين مع الإدارة الاستعمارية وخدمهتهم لأغراضها.

وبحلول سنة 1956،احتفلت "الجمعية التاريخية الجزائرية" ومجلتها"المجلة الإفريقية" بمرور مائة سنة على ميلادها، وقد قدم عدد من المؤرخين الجامعيين والباحثين دراسات هامة عن تقدم الكتابة التاريخية خلال سنوات 1930-1956، ونذكر من بين هذه الدراسات "مقالة ياكونو" التي تناول فيها تقديم ما كتب منذ الاحتلال، وجزءا من مقالة "روجي لوتورنو"عن (العصور الوسطى والعهود الحديثة)، وهما بحثان غنيان بالآراء والملاحظات والمراجع، وفي نفس الوقت بيرهنان على مدى ما وصلت آلية الكتابة التاريخية الفرنسية عن الجزائر، ومن جهة أخرى نلاحظ أن الباحثين كتبا في بداية أحداث الثورة الجزائرية حيث انتهى "لوتورنو" إلى القول بأن " **البحث التاريخي عن الجزائر المسلح ما يزال بعيدا عن الانتهاء**" وانتهى زميله "ياكونو" إلى القول بأن "**لاتوجد دراسة شاملة عن**

سياسة فرنسا الاسلامية في الجزائر ولا عن التحول الذي أصاب الأهالي بتأثير الاستعمار"

والواقع أن المؤرخين الفرنسيين في الجزائر قد درسوا تاريخ الحملة والاحتلال والاستعمار، ولكنهم لم يدرسوا تطور المجتمع الجزائري ولا سياسة بلادهم نحو الجزائر[1]

[1] كل الشكر للأستاذ الباحث البروفيسور" عمر بوضربة " الذي ساهم بمعلوماته الدقيقة لربط قطع هذه المحاضرة وفق التسلسل التاريخي والسياسة الاستعمارية .